

قلعة بهلاء قلعة عُماني عريق يروي تاريخ آلاف السنين (فيديو)



الثلاثاء 25 أغسطس 2026 08:30 م

تترجع قلعة بهلاء في محافظة الداخلية بسلطنة عُمان، فوق ربوة مرتفعة تحيط بها واحة واسعة من أشجار النخيل، لتقدم واحدة من أبرز الصور التي تجمع بين التاريخ والعمارة والطبيعة في السلطنة. وعلى امتداد قرون طويلة، ظلت القلعة شاهدة على تحولات سياسية واجتماعية وحضارية متعاقبة، كما ارتبطت بدور دفاعي مهم في حماية المنطقة ومراقبة طرق التجارة.

وتكتسب قلعة بهلاء مكانة استثنائية باعتبارها أول موقع في سلطنة عُمان يُدرج على قائمة التراث العالمي التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو» عام 1987، لتصبح منذ ذلك التاريخ واحدة من أبرز الوجهات التراثية التي تستقطب الزوار والباحثين عن تفاصيل التاريخ العُماني القديم.

قلعة بهلاء شاهد على عصور متعاقبة

لا يمكن النظر إلى قلعة بهلاء باعتبارها مجرد بناء دفاعي قديم، إذ تمثل في تفاصيلها المعمارية وموقعها الجغرافي طبقات متراكمة من التاريخ العُماني. وتشير الروايات والمصادر التاريخية إلى أن جذور الموقع تعود إلى عصور موغلة في القدم،

فيما شُيّدت أجزاء القلعة وتوسعت على مراحل زمنية مختلفة، الأمر الذي جعلها نتاجًا لتراكم حضاري ومعماري امتد لقرون.

وتبرز أهمية القلعة بصورة خاصة خلال عهد دولة بني نبهان، التي اتخذت من بهلاء مركزًا لحكمها لقرون، وهو ما انعكس على تطور المدينة والقلعة معًا، وتحولهما إلى مركز سياسي واقتصادي ودفاعي مهم.

ومع مرور الزمن، أُضيفت إلى القلعة منشآت وأبراج وأجزاء جديدة، كما شهدت مبانيها تعديلات وترميمات متتالية، وهو ما يفسر التنوع الواضح في تفاصيلها المعمارية.

موقع استراتيجي وسط واحة النخيل

تقع القلعة في ولاية بهلاء بمحافظة الداخلية، على الطريق الممتد بين نزوى وعبري، وتتميز بموقع مرتفع منحها أهمية استراتيجية كبيرة.

وقد لعب الموقع دورًا رئيسيًا في تعزيز قدرتها الدفاعية، إذ أتاح للقائمين عليها مراقبة مساحات واسعة من المناطق المحيطة، إلى جانب الإشراف على طرق الحركة والتجارة التي كانت تمر بالمنطقة.

وبزيد وجود واحة النخيل المحيطة بالقلعة من جمال المشهد العام، حيث تتداخل الجدران الطينية الضخمة مع اللون الأخضر للنخيل، لتشكل لوحة تجمع بين صرامة العمارة الدفاعية وهدوء البيئة الزراعية.

كما ارتبطت الواحة منذ القدم بنظام الأفلاج، الذي يمثل أحد أبرز مظاهر براعة العُمانيين في إدارة المياه وتوزيعها على المناطق الزراعية والسكنية.

تحصينات ضخمة وأسوار تمتد لمسافات طويلة

تتميز قلعة بهلاء ببنيتها الدفاعية المعقدة، إذ تضم مجموعة من الأبراج والأسوار والأفنية والممرات والمباني التي صُممت لتلبية احتياجات دفاعية وإدارية ومعيشية مختلفة

وتبلغ مساحة القلعة نحو 9822 مترًا مربعًا، بينما تمتد الأسوار الخارجية المرتبطة بالواحة لمسافة تتجاوز 12 كيلومترًا، ما يعكس ضخامة المنظومة الدفاعية التي كانت تحيط بالمدينة وتحمي سكانها ومرافقها

وتبدو القلعة من الخارج أشبه بكتلة طينية ضخمة ترتفع فوق الأرض، إلا أن الاقتراب من تفاصيلها يكشف عن شبكة معمارية أكثر تعقيدًا، تضم بوابات وممرات وغرفًا وأبراجًا وساحات مختلفة

وقد ساعد استخدام الطين في البناء على توفير خصائص ملائمة للبيئة المحلية، إلى جانب سهولة الحصول على المواد المستخدمة في تشييد المباني وإعادة ترميمها

ثلاثة أجزاء رئيسية داخل القلعة

تنقسم قلعة بهلاء إلى مجموعة من المكونات الرئيسية، ومن أبرزها «القصبة»، التي تمثل أحد أهم أجزائها الدفاعية، إلى جانب «بيت الجبل» و«البيت الحديث»، فضلًا عن مجموعة كبيرة من الأبراج والأسوار والساحات

وكانت هذه المكونات تؤدي أدوارًا مختلفة تتعلق بالدفاع والإدارة والإقامة ومراقبة المنطقة المحيطة

وتكشف هذه التقسيمات عن طبيعة القلعة باعتبارها مجمعًا متكاملًا، وليس مجرد حصن عسكري، إذ احتوت على مساحات تلبي احتياجات السكان والقائمين على إدارة شؤونها

العمارة الطينية: هوية مميزة للقلعة

تعد العمارة الطينية من أبرز السمات التي تمنح قلعة بهلاء هويتها البصرية المميزة فقد استخدمت المواد المحلية في بناء أجزاء واسعة منها، ما جعلها تبدو منسجمة مع البيئة المحيطة

وتحمل جدران القلعة آثار أساليب البناء التقليدية التي اعتمدت عليها المجتمعات العُمانية في مواجهة الظروف المناخية، كما تكشف عن خبرة كبيرة في تشييد المباني المرتفعة والتحصينات والأسوار

ولا تقتصر قيمة هذه العمارة على شكلها الخارجي، وإنما تمتد إلى كونها سجلًا حيًا للتقنيات التي استخدمها البناؤون العُمانيون قديمًا، وكيف استطاعوا الاستفادة من الموارد المتاحة لهم في إنشاء مبانٍ ضخمة قادرة على الصمود لقرون

بهلاء وعهد النباهنة

ارتبط اسم بهلاء بصورة وثيقة بعهد النباهنة، الذين جعلوا المدينة مركزًا مهمًا لحكمهم، وهو ما منح القلعة مكانة سياسية إلى جانب دورها العسكري

وخلال تلك الفترات، أصبحت القلعة جزءًا من منظومة الحكم والإدارة والحماية، وشهدت المنطقة نشاطًا تجاريًا واجتماعيًا متزايدًا

ولا تزال آثار تلك المرحلة حاضرة في المدينة والمناطق المحيطة بالقلعة، بما في ذلك الأحياء القديمة والأسواق والمساجد والمباني التراثية

سوق بهلاء: ذاكرة التجارة والحرف التقليدية

لا تكتمل زيارة القلعة دون التعرف على سوق بهلاء التاريخي، الذي يمثل أحد الشواهد على النشاط التجاري والحرفي الذي اشتهرت به المنطقة

ويشتهر السوق بالمنتجات التراثية والحرف اليدوية، وفي مقدمتها الفخار الذي ارتبط باسم بهلاء على نحو خاص

وتعكس صناعة الفخار جانبًا مهمًا من التراث المحلي، حيث انتقلت مهاراتها عبر الأجيال، وظلت الأواني والمنتجات الفخارية جزءًا من الهوية الحرفية للمنطقة

كما يمكن للزائر أن يجد في محيط السوق منتجات تقليدية أخرى، إلى جانب العطور والتوابل وبعض المصنوعات التي تعكس طبيعة الحياة الشعبية في عُمان

واحة بهلاء التاريخ في قلب الطبيعة

تمنح واحة بهلاء القلعة بعدًا آخر يتجاوز قيمتها التاريخية فالنخيل والمساحات الزراعية والممرات القديمة والأفلاج تشكل بيئة متكاملة حول هذا الصرح

ويظهر هنا الترابط بين الإنسان والمكان بصورة واضحة؛ فالقلعة وفرت الحماية، بينما وفرت الواحة مصادر الغذاء والمياه، وشكلت الأسواق والمناطق السكنية المحيطة بها مجتمعًا نابضًا بالحياة

ولهذا فإن زيارة بهلاء لا تقتصر على مشاهدة قلعة تاريخية، وإنما تمنح الزائر فرصة للتعرف على نموذج متكامل من العمران العُماني القديم

معالم تراثية تحيط بالقلعة

تضم المنطقة المحيطة بقلعة بهلاء عددًا من المعالم التاريخية التي تضيف إلى التجربة السياحية، ومن بينها عدد من المساجد والحارات القديمة والسوق التاريخي

وتبرز الحارات التراثية بما تحمله من مبانٍ طينية وممرات ضيقة وأبواب قديمة، لتقدم صورة قريبة من طبيعة الحياة اليومية التي عاشها سكان المنطقة في الماضي

كما تمثل هذه المعالم امتدادًا طبيعيًا لتاريخ القلعة، وتوضح أن بهلاء كانت مركزًا عمرانيًا متكاملًا، وليس مجرد موقع عسكري منعزل

القلعة كوجهة للسياحة الثقافية

تحولت قلعة بهلاء على مدار العقود الماضية إلى مقصد بارز للسياحة الثقافية في سلطنة عُمان، إذ تستقطب الزوار المهتمين بالتاريخ والعمارة والتراث

ويجد الزائر داخل القلعة فرصة للتجول بين الأبراج والساحات والممرات، والتعرف على طبيعة المنشآت الدفاعية القديمة، فضلًا عن الاستمتاع بالمشهد الذي يجمع بين القلعة وواحة النخيل

كما تمثل القلعة موقعًا مهمًا للباحثين والمهتمين بالعمارة التقليدية، لما تحتويه من تفاصيل تساعد في فهم تطور تقنيات البناء والتحصين في المنطقة

تجربة مختلفة لعشاق التصوير

وتوفر قلعة بهلاء مشاهد متنوعة لهواة التصوير، بداية من البوابات والجدران الطينية، مرورًا بالأبراج المرتفعة والساحات الداخلية، وصولًا إلى مشهد الواحة المحيطة بالقلعة

ويمنح تداخل الضوء مع الجدران الطينية القديمة، خاصة خلال ساعات الصباح والمساء، مشاهد بصرية مميزة، بينما يضيف امتداد النخيل في الخلفية إلى جمال الصور التي تلتقط للموقع

أفضل موسم لزيارة قلعة بهلاء

تختلف تجربة زيارة القلعة باختلاف الظروف المناخية، لكن الأشهر الأكثر ملاءمة للتجول في المواقع المفتوحة عادة ما تكون خلال الفترة الممتدة من نوفمبر إلى مارس، عندما تكون الأجواء أكثر اعتدالًا مقارنةً بأشهر الصيف

ويتيح الطقس المعتدل للزائر قضاء وقت أطول في استكشاف الساحات والأسوار والمناطق التراثية المحيطة بالقلعة، إلى جانب زيارة السوق والحارات القديمة والواحة

قلعة بهلاء ذاكرة عمانية مفتوحة للزوار

تختصر قلعة بهلاء جانبًا مهمًا من تاريخ سلطنة عُمان، فهي تجمع في موقع واحد بين التحصين العسكري والعمران التقليدي والحياة الزراعية والتجارة والحرف اليدوية

كما أن إدراجها على قائمة التراث العالمي منحها قيمة دولية، ورسخ مكانتها بوصفها أحد المواقع التي تمثل التراث الثقافي العُماني أمام العالم

وبين جدرانها الطينية وأبراجها وأسوارها الممتدة، لا تقدم القلعة مجرد أطلال من الماضي، وإنما تحكي قصة مجتمع استطاع بناء منظومة عمرانية متكاملة تتلاءم مع البيئة وتحمي السكان وتخدم النشاط الاقتصادي

ومع بقاء الواحة والأسواق والحارات والمعالم المحيطة بها شاهدة على تاريخ المنطقة، تظل قلعة بهلاء واحدة من أبرز الوجهات التي يستطيع الزائر من خلالها الاقتراب من تفاصيل التاريخ العُماني، واستكشاف حضارة تركت بصمتها على المكان عبر قرون طويلة

وفي قلب محافظة الداخلية، تستمر القلعة في أداء دور جديد يختلف عن دورها القديم؛ فبعد أن كانت رمزًا للحماية والدفاع، أصبحت اليوم رمزًا للتراث والهوية ووجهة للسياحة الثقافية، وواحدة من أهم الشواهد المعمارية على عراقة سلطنة عُمان وتنوع تاريخها



